حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ٤ —

أشفقنا على كاتب مقالات « بين العقاد والرافعي » من هول ما جنى على نفسه بتسخيره عقله لهواه فيما تصدى له ، فدعوناه إلى أن يفيء إلى الحق ويسلك فى أدبه سبيل القرآن قبل أن يحق عليه ما حق على كل مجانب لطريق القرآن من قبله . لكننا لم نكد نتم قراءة مناقشاته وشروحه التى بسط فى العدد ٢٦٢ من الرسالة حتى أيقنا أننا أمام مغرور لن يدع له غروره مرجعاً إلى حق ، ولا رجوعاً عما هو بسبيله من مكابرة ومماراة

وكان أكبر ما أيأسنا وآسفنا منه فى كلمته تلك جوابه على ملاحظة الفاضل الفلسطيني الذى نبهه بجلاء ووضوح إلى خطئه فيما اعتبره تناقضاً بين تلخيص الرافعي لرأى شوبنهور فى الجمال وبين حقيقة ذلك الرأى . فى ذلك الجواب بعد أن ذكر أن نصف تلك الملاحظة فى موضعه قال : « (وقد نشأ هذا عن اضطراب فى ترتيب بعض الجمل ! وكثيراً ما يقع مثل هذا فنكتفى بفطنة القارئ) ولكن مع هذا بقى التناقض بين قول شوبنهور وتلخيص الرافعي واضحاً » . وأكبر المآخذ على هذا الكلام خلق لا عقلى ، وموضع المؤاخذة هو ما بين قوسين — والقوسان من عندنا — فقد كبر عليه أن يعترف بالخطأ صراحة فجعل يخادع عن خطئه بالتماس تعليل لا ينطبق على الواقع كما فصل بالضبط فى مقاله الثالث حين أراد أن يخرج من رأى ارتآه فى الرافعى إلى رأى . ومخالفة تعليله هذا للواقع يتضح من كلامه الذى انتقده الفاضل الفلسطيني من مقاله التاسع فى العدد ٢٦٠ من الرسالة . ونحن موردون الآن ذلك الكلام بنصه ؛ قال :

« ثم هذا الخلط بين الرأى الذى جاء به الرافعى وبين رأى شوبنهور ، ونسبة كلام إلى رجل يقول ضده تماماً . الفيلسوف يقول : إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الإرادة . فيقول الرافعى عنه : إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الإرادة . وهو عكس قول شوبنهور . ثم يعود فيقول : « وإنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة . وهو عكس كلام الرافعي الأول ! ! فأيهما يريد ؟ أغيثونا بالله يا أصحاب الفهم وقولوا لنا متى تفرحنا الأشياء ومتى تحزننا ؟ وأى القولين ينسبه الرافعى لشوبنهور وأيهما ينفيه عنه ؟ »

هذا نص كلام سيد قطب الذى يزعم أن فى ترتيب بعض جمله اضطراباً هو علة الخطأ الذى نبهه الفاضل الفلسطيني إليه ، ويزعم وراء ذلك أن هذا الاضطراب الموهوم فى ترتيب الجمل كثيراً ما يقع فيكتفى بفطنة القارئ ! والقارئ يرى في الكلام اضطراباً ولكن فى الفهم والحكم لا فى ترتيب الجمل ، فإن الجمل ترتيبها مستقيم كما يتضح لسيد قطب نفسه فإنه مدرس لغة عربية؛ وليس هناك شك فى أن الجمل كانت مرادة كما هى بترتيبها ومعناها حين خرجت من قلمه أول مرة . لكن العزة تأخذه بالإثم فيحاول أن يفر من تبعة خطأ فى الفهم قد ينتفر فيقع فى تبعة ادعاء مخالف للواقع لا يمكن أن ينتفر بحال . ويزعم مع ذلك أنه يمثل مدرسة « جديدة تعنى بتصحيح المقاييس الأدبية عنايتها بتصحيح المقاييس النفسية » !

مثل هذه المكابرة فى الواضح المحسوس هو الذى يئسنا من هذا الكاتب أن يقر بخطأ أو يرجع إلى حق إذا وضح مادام هذا الحق عليه لا له

وقد ارتكب سيد قطب ذلك الخطأ الخلقى ليفر من خطأ عقلى فوقع فى خطأ جديد من غير أن ينجو من خطئه القديم . إن كلام الرافعي فى تلخيصه شوبنهور كلام متسق لا ينقض أوله منه آخراً ولا آخر أولا . وإذا كان آخره يوافق رأى شوبنهور باقرار قطب فأوله يوافقه أيضاً . إنما أراد الرافعى أن يفسر رأى شوبنهور ويقربه للذهن بتعليل معقول يزيل عنه غموضه وتجرده فلم يفهم قطب تفسير الرافعى واستمسك بجملة فيه قطعها عن أخواتها فبدت له كأنها تثبت ما يريد من تناقض الرافعى

شوبنهور يقول — فيما لخصوا له — إن الجمال يكون في عالم الفكرة المنقطع عن الأغراض والشهوات ، ولا يكون فى عالم

الارادة المتصل بالأغراض والشهوات . وهو كلام غامض ليس يسهل فهمه وتصوره ، فالتمس الرافعي له توجيها وتعليلا حسنا بقوله إن الجمال المتصل بغرضك وشهوتك ليس بجمال ، لأن غرضك وشهوتك هما زينا الشيء لك فبدا جميلا وإن لم يكن جميلا في الحقيقة . فهو باعتبار الارادة أي الغرض والشهوة جميل ، وباعتبار الفكرة المجردة عن الغرض والشهوة لا جمال فيه . فتعلق قطب بالكلمات « باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » كما يتعلق الغريق وقال إن الرافعي يناقض بها رأي شوبنهور ! ولو لم يكن يفكر بهواه لا بعقله لرأى أن هذه الكلمات في كلام الرافعي راجعة إلى شيء في عالم الارادة تعلق به الغرض والشهوة ، وهذا الشيء في رأي شوبنهور غير جميل باعتراف سيد قطب نفسه . فقطب هو الذي لم يفهم عن الرافعي ، ورمى الرافعي بأنه لم يفهم عن شوبنهور في كلام طويل جعل يشير فيه ويصيح ويستغيث .

هذا المقال يمثل من الناحية العقلية ضربا آخر من أغلاط قطب ويبرز علة أساسية في سوء تقديره الرافعي . إنه في كثير من الأحوال يخطيء غرض الرافعي ويفهم من كلامه غير ما أراد ثم يحكم عليه بما لم يرد ومالا يدل عليه كلامه : يسرف على نفسه وعلى الرافعي في الحكم وهو في الحقيقة قد أخطأ جوهر الموضوع.

خذ مثلا لذلك رميه الرافعي بأنه ينظر إلى الأمور نظرة مادية ويذكر نفسه وقلبه في سوق « المجوهرات » معتقدا أنها أثمن من القلوب إلى آخر ما تشدق به وافترى على الرافعي .

وسيد قطب يلقي الدعاوى ثم يثبتها بأمثلة ، وهو طريق في إثبات الدعاوى غريب لا يثبت منها شيئاً ولو صحت الأمثلة كلها . ومع ذلك فان كل مثال جاء به سيد قطب ليثبت به دعواه تلك هو مثال أخطأ فيه غرض الرافعي وأخطأ لب الموضوع

إن أول ما هاج قطب إلى تلك الدعوى قول الرافعي من قصيدة له في الحب معجبة :

قلبي هو الذهب الكريـ ... ـم فلا يفارقه رنينـــه
قلبي هو الألماس يعـــرف من أشعته ثمينـه

وواضح أن هذا كأبيات العقاد التي ذكرها البابيدي ، من باب التشبيه ومن التشبيه في ناحية مخصوصة واضحة في كل من البيتين . فالرافعي يشبه قلب نفسه بالذهب الكريم لا من ناحية سمره وقيمته — ولو قال الرافعي هذا ما كان فيه عليه من بأس إذ يكون واضحاً عندئذ أن قلبه في القلوب كريم كالذهب في المعادن — ولكن من ناحية أن عاطفته النبيلة لا تفارقه كما لا يفارق الذهب رنينه . والذهب في لغة العلم فلز نبيل لا يصدأ في الجو ولا تؤثر فيه الأحماض ولا القلويات وإن أثر فيه الكلور المتولد . فكأن الرافعي يقول إن قلبه يحتفظ بنبله وطهارته رغم المغريات والفتن كما يحتفظ الذهب برنينه رغم المصدئات والمغيرات . واختيار الرافعي خاصة الرنين من بين خواص الذهب رمزا لتلك الخواص ينطق بلطف شاعرية الرافعي وسلامة طبعه ، فان خاصة الرنين أشبه خواص الذهب بعواطف القلب : هذه يثيرها ويحركها وقع الحوادث والمناظر ، وذاك يثير موجاته نقر القضبان والأنامل . فليست القافية هي التي ألجأت الرافعي إلى اختيار كلمة الرنين ، ولو فعلت لكان ذلك أوثق لشاعريته ، لأن من أصدق الدلائل على شاعرية الشاعر ألا تصرفه قافية عن غرضه ، ولا تستنزله عن بعضه ، بل تخدم قافيته غرضه فيجتمعان له كلاهما في سهولة ويسر . وهذا من أصدق مظاهر الطبع في الشعراء

والمهم في بيت الرافعي أنه لم يشبه قلبه بالذهب من حيث قيمته ولا من حيث نوع رنينه ، بل في الخاصة الواحدة التي يمتاز بها الذهب من سائر الفلزات غير النبيلة : أنه لا يفارقه رنينه ، وإن اختلفت عليه المؤثرات والظروف . هناك فلزات أخرى كالنحاس والفضة لها رنين قد يكون في الأذن أوقع من رنين الذهب لكن هذا خارج عن مقصد الرافعي . إنما الذي يريد الرافعي توضيحه بالتشبيه هو ثبوت قلبه للحوادث وعدم ذهاب المغريات والأهواء بلبه كما تذهب بأكثر القلوب والألباب . فهدته شاعريته إلى تشبيه قلبه في هذه الخاصة التي تميزه في القلوب بالذهب الكريم الذي يمتاز من غير النبيل من أفراد جنسه باحتفاظه بخواصه ورنينه ، على رغم المؤثرات المغيرة ، لا يشركه في ذلك فضة ولا حديد ولا نحاس

أما نوع العاطفة التي يستجيب بها قلبه للحوادث فقد أشار اليها ألطف إشارة في البيت الأول حين وصف الذهب بأنه الذهب الكريم . ويشهد للطف حس الرافعي في الشعر أنه اختار هذا

الوصف دون كل الأوصاف التي يستقيم بها الوزن . فلم يقل مثلا قلبي هو الذهب الثمين فيدع لكل متجن مترصد متكأ يتكئ عليه في تهمته التي يتهم بها . والرافعي طبعاً لم يكن يعرف النيب لكن الشاعر المطبوع يتجنب المزالق بلطف حسه وقوة طبعه . وهذا مظهر آخر من أصدق مظاهر الشاعرية والطبع في الشاعر المطبوع

لكن الرافعي أراد أن يتبع تلك الاشارة اللطيفة إلى نبل قلبه بما يظهرها ويوضحها فلا يكون هناك شك في نبل ما يتحرك به قلبه من عاطفة ، كما لم يكن هناك شك بعد بيته الأول في ثبوت قلبه على تلك العاطفة برغم الفتن والأحداث . أراد ذلك فأتبع بيته الأول بيته الثاني :

قلبي هـــو الألماس يعـ ـرف من أشعته ثمينـه

والألماس يعرف بعدة خواص : يعرف بكثافته النوعية ، ويعرف بصلابته ، فهو يخدش ولا يخدش . لكن هاتين الخاصتين لا تصلحان مطلقا لأن تكونا وجه شبه بين الألماس وبين قلب الرافعي ، لأنها إلى وصف القلب بالغلظة والقسوة أقرب . فهدى الرافعي لطف حسه وصدق طبعه مرة أخرى إلى اختيار الخاصة الواحدة من خواص الألماس التي تليق أن تكون جامعة بين الألماس وبين قلب مثل قلب الرافعي : خاصة أخذ الألماس للنور والتأثير فيه بتفريقه إلى أضوائه المتعددة بألوانها الزاهية الجميلة ، ثم إرسال تلك الأضواء كلها مجتمعة غير مشتتة فتخرج منه باهرة يكاد بريقها يذهب بالبصر . وهي خاصة يشرك الألماس فيها الزجاج والبلور إلى حد ما ، ولكن لا بتلك الدرجة التي اختص بها الألماس والتي هي أساس تقدير الناس له ، فالألماس بهذه الخاصة الفريدة أشبه قلب الرافعي ، وأشبهه قلب الرافعي فيما يتناول ويجمع من مختلف الأحاسيس الكريمة والعواطف النبيلة فيهذبها وينظمها ويرسلها أشعة قلبية كريمة طاهرة باهرة تعرفها في مقالاته رحمه الله في الرسالة ، وتعرف قلبه بها في القلوب كما يعرف ثمين الألماس بأشعته من مزور الألماس .

أرأيت دقة هـذين التشبيهين وحسن التمثيل فيهما وشموله وكرم المعنى مع كرم اللفظ ؟ هذا هو الذي أخطأه سيد قطب فلم يفهم من ذلك اللفظ الواضح إلا ما تبادر إلى ذهنه من المعاني السطحية السوقية المتعلقة بالماديات وسوق «المجوهرات» ، فيزعم أن هـذا هو مراد الرافعي ، ويحكم على الرافعي به وما حكم إلا على نفسه . ولو كان المقاد هو قائل هذين البيتين لأدرك قطب منهما هذا المعنى الذي وضحنا مع تمام التطابق في أوجه الشبه بين طرفي التشبيه ، ولاتخذهما دليلا لا على نبل المقاد وسموه وتفرده فقط كما يجب أن يقول ، لكن أيضا على اتساع ثقافته وعلمية تفكيره . لكن اصطناع المعاني العلمية في الأدب يحتاج فيما يظهر إلى شرط آخر حتى يعجب سيد قطب ، يحتاج بعد الفهم إلى أن يكون مصطنع ذلك في الأدب هو المقاد .

على أن الرافعي رحمة الله عليه لم يكتف بما في بيتي التشبيه من دلالة على ما يريد مما فصلناه ، بل أراد ألا يدع الأمر في ذلك للفهم وقد يخطئ ، ولا للتأويل وقد يختلف ، إذ قد يكون القلب ما يكون ويزعم صاحبه أنه نبيـل يخفق بكل نبيل من العاطفة والشعور . أراد الرافعي أن يرفع الشك من هذه الناحية بالتصريح عما يريد فيكون ذلك تلخيصاً لمراد البيتين وتفسيراً لهما وقطعاً للشك في معناهما فأردفهما رحمة الله عليه بقوله :

قلبي يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه

فهو يتأثر بالجمال في شتى مظاهره ومواطنه ، لكن تأثر بالجمال وإن عظم لا يخرجه عما يرضي الخلق الكريم والدين القويم كما تخرج أكثر القلوب خصوصاً في هذا الزمن الغريب الكنود الذي كأنما طابع أهله الجحود فيأبون إلا أن يجعلوا شكر الله على نعمة الجمال معصيتهم لله فيه . ولا كذلك الرافعي ، فقلبه رحمه الله كان يستجيب لدواعي الجمال فيخفق له خفقاً ويهتز به اهتزازاً لكن من غير أن يخرج في ذلك عما يعلم أن لله فيه رضا . قلبه يحب وإنمـا أخلاقه فيه ودينه . وهذا عندنا من الفروق الأساسية بين المدرسة القرآنية التي ينتسب إليها الرافعي وبين المدرسة التي تتلقب بالجديدة وهي قديمة قدم الشهوة على وجه الأرض . وقد أشرنا إلى ذلك في كلمتنا الأولى ونرجو أن تكون لنا إليه عودة قريبة إن شاء الله

هذان موضعان أخطأ فيهما ناقد الرافعي غرض الرافعي برغم وضوح كلامه ، فأخطأ لب الموضوع واتخذ ذلك دليلا على ما الرافعي منه بريء

وموضع ثالث أخطأ فيه جوهر الموضوع مرة أخرى واتهم الرافعي ، قول الرافعي فيما نقل الكاتب من رسائل الأحزان حين أراد أن يقص على صاحبه قصة حبه بغير ترتيب : « فان هذا مما يحسن في تاريخ صخرة تتدحرج، أما أنا فسأقدم لك تاريخ لؤلؤة فريدة » هذا قول الرافعي الذي جعله سيد قطب مثالا المادية الرافعي ومثالاته « بالمجوهرات » إذ لا فرق لدى الفنان الحي بين أن يقص تاريخ صخرة وتاريخ لؤلؤة إلا أن يكون « الثمن » هو الفارق بينهما . والفنان الحي الذي يستشعر الحياة في أعماقها في رأي قطب كان يقول في هذا الموضوع إنه سيقص قصة بنية حية يدخل في تأليفها الحس والشعور « أو تاريخ نبتة تنمو من داخلها أكثر مما تنمو من خارجها » إلى آخر ما ظن أنه يدل على حياة الفنان . ولو جاء الرافعي بمثل ما قال صاحبنا ما سلم من قوارص كله وباطل تهمه . وإذا كان كتاب يضطرم بالحب ويتضرم بآثاره لا يدل عند مثل سيد قطب على حياة القلب الذي زاد به العذاب حتى قاض بالكتاب تنفيسا عن نفسه، فهل كان يدل على حياة ذلك القلب عنده أن يمثل في جملة عارضة بنبتة حية أو بنية حية ، أو ما شاء أن يختارها من عالم الأحياء ؟

على أن النبتة الحية أو البنية الحية التي يدخل أو لا يدخل في تكوينها الشعور لا تعني شيئا في التمثيل لما أراد الرافعي أن يمثل له . إن الرافعي أراد أن يقول إنه سيقص قصة حب قليل الشبيه عزيز النظير : حب نادر كاللؤلؤة الفريدة لا حب عادي كالصخرة المتدحرجة . فالنبتة الحية أو أي بنية حية يقترحها قطب مما قرأ في علم الأحياء هي والصخرة المتدحرجة سواء في العادية والشيوع، من شاء يضع يده على مثلها وضع . ولو مثل الرافعي بها للحب القادر الذي يريد أن يقص قصته لما كان هو الرافعي في لطف حسه وسلامة طبعه ونفوذ بصره وصدق تمثيله ، ولوقع فيما يصح أن يتهم من أجله بأنه شكلي ينظر إلى ظواهر الأشياء ولا يفقه بواطن الأمور . لا ! ما كان الرافعي في مقام التمثيل للشيء الفريد النادر ليقع فيما كان يقع فيه صاحبنا الفنان الحي من التمثيل بنبتة حية أو بنية حية ، دخل في تأليفها شيء غير الزمان والمكان أو لم يدخل . لكن الرافعي اختار للتمثيل شيئا نادرا قابله بشيء عادي هو الصخرة المتدحرجة من السهل أن يراه الانسان في مكانه المناسب

ومن الغريب أن الرافعي اختار للتمثيل لحبه النادر الذي كان ، شيئاً فريداً لا ينتج إلا من الحياة ، ومن الحياة عند ملتقى بحرين ، وإن كان هو في ذاته غير حي . وكلما أوجه شبه بين اللؤلؤة الفريدة وبين حب الرافعي الذي كان . فهو حب فريد أنتجته الحياة عند ملتقى قلبين أو نفسين مختلفتين في النوع اختلاف البحر والنهر وبينهما مع ذلك من الصلات الفطرية الوثيقة ما بين البحر والنهر . ثم هو حب كان وانقضى فهو كاللؤلؤة لا في الانفراد فقط ولكن في انقضاء النمو وفي عدم الحياة . ترى هل كان الرافعي رحمه الله ينظر إلى كل ذلك حينما مثل لحبه باللؤلؤة الفريدة ولم يمثل بالماسة الفريدة مثلا ، وهي والصخرة من قبيل واحد ؟ أكبر الظن أنه كان ينظر إلى كل ذلك في مثله الذي اختار . ولئن لم يكن واختار بفطرته المثال الواحد الذي يشبه حبه من كل تلك الوجوه فلقد أقام من حيث لا يقصد الدليل الحسي الذي لا ينقض على أنه رجل الفطرة السليمة والطبع الذي لا يضل . ولا يضره بعد ذلك ألا يسمو إلى فهمه أناس يتهمونه اتهام البغضاء ، وهو مما يتهمونه براء

وهناك أمثلة أخرى كثيرة أخطأ فيها سيد قطب جوهر الموضوع، لكنا نقتصر الآن على ما هو من قبيل الأمثلة السابقة في غير تفصيل إذ لا نرى الآن إلى التفصيل من حاجة .

هناك قول الرافعي عن الأعرابي الذي كانت الشمس تلوح له على حائط حبيبته أحسن منها على حيطان جيرانها : « قد والله صدق وبرت يمينه فان في كلماته الشعرية لأثرا من عينيه ، إذ يرى الشمس على حائطها كالشمس على البلور الصافي لا على الحجر والمدر » فظن سيد قطب أن الرافعي اختار البلور لأنه أثمن من الحجر والمدر، وليس كذلك ؛ إنما اختاره لفعله في أشعة الشمس وتفريقها إلى الألوان المحببة التي يفرح بها الصغار إذا نظروا إلى الأشياء من خلال منشور من زجاج الثريات والتي تبدو للكبار إذا ترقرق الندى في ضوء الشمس في الصباح ، وتبدو للكبار والصغار إذا انعكس الضوء المائل عن مرآة سميكة من البلور . ولا شك أن الأعرابي في سذاجته لو رأى الشمس ساطعة على « حائط » من البلور لراقته تلك الألوان ولفضلها على الشمس على بقية الحيطان . لكن سيد قطب برغم قراءته في علم الضوء في الطبيعة لم يفهم عن الرافعي ما أراد فاتهمه مما هو منه براء

وهناك قول الرافعي في رسائل الأحزان : « ثم يجري كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الكوثر في رياض الجنة حافاه

من ذهب ومجراه على الدر والياقوت » . قال الرافعي هذا فزعم صاحبنا أن الرافعي لا يتشكك في أن النهر الذي حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت « أجل » من النهر الذي حافتاه من العشب الأخضر ومجراه على الرمل والطين . ولا ندري كيف استباح أن ينسب إلى الرافعي كلاماً لم يقله ومعنى لم يقصده ، وهو على أي حال فيه بعد حتى عن الواقع . فالنهر لا تكون حافتاه دائماً من العشب الأخضر ، ولو كانتا فإن الرافعي لم يذكرهما بعشبهما ، ولو ذكرهما ما كان ذلك حكماً منه للذهب بأنه أجل من العشب لأن المقام ليس مقام تمثيل للجمال ولكن مقام تمثيل للخلود والاطراد . وليس هناك من شك ، حتى عند مثل سيد قطب فيما نظن ، في أن الذهب أمكن في الخلود والاطراد من العشب ، بل ولافي أن العشب إنما يضرب به المثل في التغير والزوال لا في الاطراد والخلود ، مهما كان حظه من الجمال . فماذا يقول الانسان فيمن يتصدى لنقد أديب أيا كان ، بله مثل الرافعي في أدبه ، فيقرأ له ولا يفهم عنه ، أو يفهم ولكن غير ما يريد أو عكس ما يريد مع وضوح اللفظ ووجود النص ، ويتقول على الأديب غير ما قال ، ويتجنى عليه غير ما يقصد ، ثم يسرف عليه ويطيل فيه القلم واللسان ، فاذا ما نبه إلى غلطه مضى في التجني والتجرم وزعم أن زلة الأديب المنقود زلة بألف ، ككذبة الذي يقول إنه رأى أسدا يسير في شوارع القاهرة؟ ماذا يقول الانسان في ناقد كهذا جديد أو قديم ؟ وما ذا يظن في إنسان كهذا ؟

إن الرافعي هو المسكين لا شوبنهور !

محمد احمد الغمراوي

اقرؤا الرواية الخالدة

﴿ هكذا أغنى ﴾

للشاعر الفذ محمود حسن إسماعيل

صدر حديثاً . ويقع في ٢٥٠ صفحة من الورق الصقيل
المزود بالشكل والتهاويل الفنية الرائعة
يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ومكتبة النهضة
المصرية وسائر المكاتب الشهيرة بمصر
ومن صاحبه بإدارة الشؤون العامة بوزارة المعارف

ثمن النسخة الواحدة ١٠ ص

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٢ —

ولا بد من تقدير الاعراب في الجمل أيضاً ، لأنه قد يعطف على الجملة اسم مفرد يراعى فيه تقدير إعرابها ، فيجب من أجل هذا تقدير الاعراب فيها ، ومن ذلك قول الشاعر :

يا رُبَّ بَيضاء من الْعَواهِجِ أمِّ صبيٍّ قد حَبَا أو دارِجِ

ومنه قوله تعالى : (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)

فاذا قلنا — زيد يحسن — فزيد مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة يحسن خبر المبتدأ مرفوعة بضمة مقدرة. وهكذا كل الجمل التي تقع خبراً عن مبتدإ أو حالا أو صفة أو نحو ذلك؛ أما الجمل التي لا تقع هذا الوقع فلا يقدر إعراب فيها

وقد ثبت من هذا كله أن ألفاظ العربية كلها معربة ، ومن الواجب أن ينقل الاعراب بعد هذا إلى اصطلاح غير الاصطلاح المعروف له ، لأن إصطلاحهم في الاعراب أنه عبارة عن تغير أحوال أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً ، والاعراب على هذا لا بد له من عامل يقتضيه ، فاذا لم يكن هناك عامل لم يكن هناك إعراب ، ولهذا كانت الحروف وبعض الأفعال عندهم غير معربة . وقد ذهب بعض من النحويين إلى إعراب فعل الأمر فلم يكن له بد من تكلف عامل في إعرابه لأنه لا يوجد إعراب لا عامل له ، والكوفيون هم الذين ذهبوا إلى إعراب فعل الأمر ، وهو عندهم مجزوم بلام أمر مقدرة ، لأنه في رأيهم مقتطع من المضارع ، فأصل — قُمْ — مثلا — لِتَقُمْ — حذفت اللام للتخفيف ، وتبعها حرف المضارعة وهو التاء ، وقد قال صاحب المغني : وبقولهم أقول ، لأن الأمر معنى فحقه أن يؤدى بالحرف ، ولأنه أخو النهي وقد دل عليه بالحرف

أما الاعراب في الاصطلاح الذي ننقله إليه فهو عبارة عن تغير أواخر أجزاء الكلام على حسب ما جاء عن أهل اللغة ، فلا يلزم في الاعراب على هذا الاصطلاح أن يكون معه عامل مقتض